إكتمال الجبهة

"لو أن نور الدين علم فيكم من يقوم

مقامى أو يثق إليه مثل ثقته بى

لسلم إليه مصر وهى أعظم ممالكه"

صلاح الدين مخاطباً أمراء عماد الدين إسماعيل

أصبح يوسف ذو الأثنين والثلاثين ربيعاً أخر الوزراء الفاطميين، ولُقُب بالملك الناصر صلاح الدنيا والدين، وأرتدى الزى الرسمى للوزراء الفاطميين، العمامة المحنكة[1]، بالرغم من أعتراض كبار أمراء الجيش النورى الذين عز عليهم أن يحوذ أمير أصغر منهم رتبة هذا المنصب الرفيع، كما لاقى صلاح الدين الصعاب من حاشية العاضد الذين عز عليهم ضياع نفوذهم، وصلاح الدين يغدق الأموال، حتى أستحوذ على قلوب الجميع وأصبح رجل الساعة بلا منازع ،

إستطاع نور الدين وشيركوه وصلاح الدين القضاء على أكبر سببين من أسباب نجاح الحملة الصليبية الأولى فى إحتلال بيت المقدس، الإنقسام العقائدى بوجود خلافتين أحدهما سنية والأخرى شيعية فى العالم الإسلامى، والإنقسام السياسى بين جناحى الأمة العربية، مصر والشام وذلك بضمهما تحت لواء دولة متحدة،

بعد سلسلة طويلة من المؤامرات والصراع الغير أخلاقى على السلطة، والإضطرابات، والمجاعات، والأستقواء بالأعداء، والمحن التى لازمت أفول حكم الفاطميين، قضى حكم صلاح الدين الخيّر على هذه الفوضى وألقى بها خارج مصر،

أدت سيطرة نور الدين على مصر بواسطة قائده صلاح الدين إلى صدمة صليبية، وتولد إقتناع لديهم بضرورة السيطرة على مصر بعد طرد صلاح الدين منها، الصليبيون على تمام اليقين بإن إنتظام الوحدة بين البلاد العربية هو الحد الفاصل لوجودهم بالشرق، فهم إنما أقاموا كياناتهم السياسية فى الشرق وأستمروا بسبب التمزق والتشرذم الإسلامى، فلهذا أستطاعوا بناء جزائرهم المتناثرة الصغيرة وسط المحيط الإسلامى الخضم، الذى إنهزم ليس لضعف قواه البشرية، إنما لتفككها، " فمن

[1] عمامة تلف طرفها تحت ذقن مرتديها، وهى الزى الخاص بالأساتذة المحنكون، وهم كبار الخدم وأرباب الوظائف بقصر الخليفة الفاطمى،

الممكن الدفاع عن المملكة طالما أن مملكتا مصر ودمشق باقية فى أيدى زعامات متنافرة معادية بعضها مع بعض"[2]

وهنا أستشعر الصليبيون الخطر على وجودهم بالمشرق، فخفوا الخطى لأوروبا يتسولوا النجدة من الممالك والإمارات الغربية، فإذا كان سقوط الرها قد أثار ملكى فرنسا وألمانيا للقيام بحملة صليبية، فمصر أولى أن تثير أوروبا مجتمعة، فألف آمورى سفارة من ألمع الشخصيات فى الهيراركية الكنسية، من آمورى بطريرك بيت المقدس وهرنسيوس مطران قيصرية ووليم مطران عكا، ليطرقوا أبواب بلاط فريدريك بربروسا أمبرلاطور ألمانيا ومنه للويس السابع ملك فرنسا وهنرى الثانى ملك أنجلترا ووليم الثانى ملك صقلية وفيلين كونت فلاندرز وهنرى كونت شمبانيا، ليجدوا آذاناً موصده أمامهم، فأوروبا الأن غير أوروبا الحملة الأولى، فأوروبا الأن نشأت بين جناباتها مدن مما أدى لنمو الطبقة البرجوازية، التى أرتبطت بمصادر دخل وأعمال فى مدنها، بعكس طبقة الأقنان التى شكلت فيضان جارف من الفقراء الذين رأوا فى الشرق طوق النجاة من الحرمان الذى غرقوا فيه، أما الأمراء فقد فقدوا الكثير من نفوذهم أمام زيادة قوة الملكية، مما يحد من قدرتهم على إتخاذ المبادرة فى الإشتراك فى حملات كبيرة، علاوة على الخلافات الناشئة بين الباباوية وملوك أوروبا بسبب التقليد العلمانى[3]،

ليدير آمورى دفة الإستنجاد إلى بيزنطة العدو الدائم للصليبيين، فتم الأتفاق عل قيام حملة برية بحرية صليبية بيزنطية مشتركة فى 16أكتوبر1169م، وقام آمورى أيضاً بتقسيم الغنيمة قبل الصيد فقد أصدر مرسوم بتخصيص مدن الفسطاط وتنيس والمحلة والأسكندرية وقوص وأسوان وأطفيح والفيوم للأسبتارية إذا ما أشتركوا فى الحملة، وزحف الصليبيون براً مباشرة لدمياط، بعد صعوبات تشكيل جيش بيت المقدس بعد الخسائر الكبيرة بين صفوف فرسان الإسبتارية فى معركة البابين، ورفض الداوية الإشتراك فى أى هجوم على مصر حسداً لدور الإسبتارية الملحوظ فى الحملات على القاهرة، ويصل الأسطول البيزنطى الضخم بقيادة أندرينيقوس كونتوستيفانوس لدمياط لتغطى المياه مائة وخمسين سفينة حربية وستين سفينة لنقل الخيول وعشرين سفينة لنقل المؤن تحمل ما يكفى الجيش البيزنطى لثلاثة أشهر، ويرسل صلاح الدين قوات بقيادة خاله شهاب الدين محمود الحارمى وأبن أخيه تقى الدين عمر وأعقبها قوات

---

[2] رسائل جاك فيترى ص256

[3] التقليد العلمانى هو قيام الملوك والأباطرة بتعيين رجال الدين وهو ما قاومته الباباوية وأرادت أن يقتصر تعيين رجال الدين من خلالها فقط

بقيادة مقدم جيشه قطب الدين خسرو الهذبانى للدفاع عن المدينة، وتفشل الحملة بسبب المقاومة البطولية لأهالى دمياط وعساكر صلاح الدين من جهة، وبسبب إنعدام الثقة بين الطرفين المهاجمين، والإغارات التى قام بها نور الدين محمود على المدن الصليبية بالشام ،

كان على صلاح الدين مواجهة مشكلة ضخمة وهى توحيد مصر والشام عقائدياً، بما يعنى إسقاط الدولة الفاطمية، بيد أن صلاح الدين تخوف، إعتقاداً منه بوجود مؤيدين للفاطميين بين الشعب المصرى، ولكن الفاطميون وأن نجحوا سياسياً فى مصر فقد فشلوا عقائدياً فشلاً ذريعاً، فأبطل صلاح الدين من الأذان "خير على خير العمل" فى 10 ذو الحجة 565هـ/1171م ثم فى خطبة الجمعة فى سبتمبر1171م تم الدعاء للخليفة العباسى المستضئ وقطع الدعاء للعاضد بما يعنى إسقاط الخلافة الفاطمية عملياً وإعادة توحيد المسلمين، "دون أن ينتطح فيه عنزان"[4]، بعد أن سبقه نور الدين فى توحيد الشام عندما عمم المذهب السنى فى حلب،

وأن لم تسير الأمور هينة مع صلاح الدين، فهناك من وضع فى طريق التحرير العراقيل، ووجد فى القوى الخارجية خير معين، ووجدت فيه القوى الخارجية خير وسيلة لإضعاف مصر وضرب الوحدة الإسلامية، فقد قام مؤيدو حكم الفاطميين بمحاولة كبرى لضرب صلاح الدين والأستقواء بالصليبيين ونورمان صقلية لتنفيذ هذا المخطط، وتناسوا أن الخطر الصليبى أكبر من فقدانهم مقاليد الحكم، مقدمين لأعداء أمتهم ما يرفضوا أن يقدموه لبنى جنسهم، وتزّعم هذه المحاولة الشاعر عمارة اليمنى[5]، الذى بالرغم من أنه سنى المذهب إلا أن ما ناله من أحسان الفاطميين جعله يخطط لضرب قلب العروبة والإسلام بمعاول الصليبيين، بل بلغ من مقته لصلاح الدين تهكمه بإطلاق لقب المملوك الصغير عليه، ولكن المؤامرة تفشل وتتكشف خيوطها وهى فى طور الإعداد، ليكون مصير المستقوين بالأعداء التأرجح على حبل المشنقة،

وكأى رجلين نجيبين حدث بوادر صدام بين نور الدين وصلاح الدين بسبب تشكك نور الدين فى وجود نوايا إستقلالية لدى صلاح الدين، بينما نور الدين يتجاهل الإعتراف بوضعية صلاح الدين كوزير للخلافة الفاطمية ويظل يخاطبه فى

---

4 الكامل ج9 ص365

5 نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكمى اليمنى، شاعر وفقيه، حضر إلى مصر أكثر من مرة، حتى أستقر بها 551هـ/1156م، حتى أعدم شنقا 2 رمضان 569هـ/25 يوليو 1164م عقب مؤامرته ضد صلاح الدين

المراسلات الرسمية بالأمير الأسفهسلار[6] ولا يفرده بالمكاتبة ويكتب علامة نور الدين فى رأس المراسلة، فى الوقت الذى أضحت القدرات العسكرية لدى صلاح الدين تماثل وتضاهى القدرات العسكرية لنور الدين محمود بالشام، مما يعنى أنه لا يمكن زحزحة صلاح الدين من مصر إلا بالحرب، وأن كان الرجلان أكثر حكمة من أن يشتتا كلمة الأسلام بعد إجتماعها، ولكن كان للقدر كلمته فقد كان عام 1174م عام فاصل توفى خلاله الملك العادل نور الدين 11 شوال569هـ/15مايو1174م، ومات آمورى ذو الثمانية وثلاثين عاماً فى 11 يوليو 1174م ومانويل كومنين أمبراطور بيزنطة، الذى لم يهتم خلفاءه بالشام ففقد الصليبيون بموته ملاذاً كانوا يلجأون إليه فى وقت الشدائد، ليخلوا المجال لفارس هذا الزمان صلاح الدين

الملك بلدوين الرابع (569-580هـ/1174-1185م)

الملك المجذوم أبن آمورى توج بعد وفاة آمورى الأول فى 11يوليو1174م وعمره ثلاثة عشر عاماً، وقد أصيب منذ طفولته بمرض الجذام مما أثر بالسلب على قدرته بتحمل أعباء الحكم، مما عظم النزعة الأقطاعية والأستقلالية بين الأمراء الصليبيين فى الشام، وقد أستفحل النزاع على الوصاية على العرش سواء قبل بلوغ الملك السن القانونية أو أثناء إشتداد مرضه، الأمر الذى يبيين عدم إلتزام الصليبيون بمبدأ الإنتخاب وتمسكهم بالوراثة حتى فى حالة عدم الأهلية،

تم تعيين صديق آمورى "ميلان دى بلانسى"[7] وصياً على العرش، ويحاصر بمقت بارونات المملكة لإزدراءه لهم، وتعاليه عليهم، ليجد غريماً قوياً فى شخص ريموند الثالث أمير طرابلس[8]، الذى كان أسيراً لدى نور الدين بين عامى 1164م - 1172م ليستطيع ريموند إزاحة ميلان، فبينما كان يسير فى شوارع عكا لحقته طعنة من مجهول أودت بحياته أواخر 569هـ/ 1174م،

أدت وفاة نور الدين المفاجئة إلى نشوب نزاع فى أرجاء مملكته بين الطامعين فى إيجاد مكان لهم فى المملكة، بل ما أن طرق نبأ وفاته الآذان حتى "تحركت الفرنج فى كل أرض"[9] فقد خلف نور الدين طفلاً وهو عماد الدين إسماعيل(569-577هـ/

6 مقدم العسكر

7 ميلان دى بلانسى ولد بأقليم شامبنيا بفرنسا، وقدم للشرق 1160م

8 ينتمى للبيت الملكى ببيت المقدس حيث كانت والدته الأميرة هودرين بين الملك بلدوين الثانى، لهذا كانت ينادى بحقوق الوصاية على الملك بلدوين الرابع المجذوم وبلدوين الخامس الطفل

9 كنز الدرر وجامع الغرر ج7 ص43

1174-1181م)، وقد تنازع أثنان من كبار أمراء نور الدين وهما شمس الدين بن المقدم وشمس الدين بن الداية منصب الوصاية على عماد الدين إسماعيل، ولم يكن من الممكن أن يظل على عرش نور الدين "طفل لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد"[10] ولم يلبث أن دخل فى الصراع أحد مماليك نور الدين المسمى سعد الدين كمشتكين، بينما حاول أبن أخ نور الدين، سيف الدين غازى الثانى حاكم الموصل إستغلال الموقف والإستيلاء على ممتلكات نور الدين الشمالية، مما هدد البنيان الذى أفنى نور الدين عمره فى تشيد أركانه .

صلاح الدين و إكمال الجبهة الموحدة

قبل صلاح الدين كانت مقاومة الصليبيين تسير كيفما أتفق، وأن ظهرت نواة الجبهة الموحدة منذ عماد الدين زنكى، وأكتمال البنيان بشكل كبير بمجهودات نور الدين محمود، ولكن صياغة هذه الجبهة فى كيان موحد متماسك يتمتع بإقتصاد موّجه للمجهود الحربى يعمل هذا الكيان تبعاً لخطط موحده وبشكل متكامل، ظهر على يد صلاح الدين الأيوبى،

أنتشرت أخبار إختلال أحوال الدولة النورية، بسبب صغر سن خليفة نور الدين، وتنافس كبار أمراءه على السيطرة على السلطان الطفل، فأمراء عايشوا ملك كنور الدين بالغ المهابة ويسيطر على كل صغيرة وكبيرة بمملكته، بينما أمراءه يهابونه لدرجة الخوف، فمن الطبيعى عند إختفاء هذه المهابة وإستبدالها بصغر سن السلطان، سوف يحاول كل أمير تنسم رياح القوة التى كان مفتقدها، ويتصارع الجميع، فأنقسمت الدولة النورية بالشام إلى ثلاث أمارات متنافسة، الموصل وبلاد الجزيرة تحت سيطرة سيف الدين غازى الثانى أبن أخ نور الدين محمود، وحلب تحت سيطرة شمس الدين بن الداية والذى سرعان ما تم القبض عليه على يد سعد الدين كمشتكين لإتهامه بالميل إلى صلاح الدين، ودمشق تحت سيطرة شمس الدين بن المقدم، والجميع فشل فى ملئ الفراغ الذى أحدثته وفاة نور الدين محمود، وكأن الأمور بالشام عادت لما قبل نور الدين ،

راسل صلاح الدين أمراء الشام بقوله "لو أن نور الدين علم فيكم من يقوم مقامى أو يثق إليه مثل ثقته بى لسلم إليه مصر وهى أعظم ممالكه"[11]، وتحرك صلاح الدين

[10] النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ص39
[11] الكامل ج10 ص58

إكتمال الجبهة

على رأس قوة صغيرة تقدر بسبعمائة فارس[12] فى نوفمبر 1174م ميمماً وجهه شطر الشام ليتدارك الجبهة التى تستطيع مواجهة أوروبا، والقضاء على أى محاولات لهدمها، بعد أن نصّب أخيه العادل نائباً عنه بمصر ووزع بعض عساكره ـ بمصر ـ على ثغورها ومداخلها[13]، ووصل صلاح الدين لـدمشق التى فتحت احضانها له وأستـقبلته إستقبالاً طيباً، وقضى ليلة وصوله لدمشق بدار ابيه المعروفة بدار العقيقى، وفى الصباح سلم شمس الدين بن المقدم مفاتيح قـلعة دمشق له، هذا وقد حرص صلاح الدين أن يعلن أنه ما حضر للشام إلا لحفظ دولة أبن أستاذه السلطان إسماعيل، وأخذ صلاح الدين فى إكمال سيطـرته على باقى مدن الشام فدخل حمص فى 10ديسمبر 1174م وأعقبها بحماة 28ديسمبر 1174م، وأن قاومته حلب الموجود فيها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين، وأثناء وجود صلاح الدين أمام حلب أرسل سنان مقدم الحشاشين بعد الفداوية لإغتياله بناء على طلب وأموال عظيمة أرسلها سعد الدين كمشتكين، ولكن المحاولة فشلت،

ولما لم تنجح مؤامرة إغتيال صلاح الدين استنجد كمشتكين بريموند الثالث كونت طرابلس، ليسرع الصليبيون الذين خافوا مـن إتحاد القاهرة، دمشق، حلب، وأدركوا أهمية بقاء حلب مستقلة عن هذا الأتحاد فقاموا بمهاجمة حمص لإجبار صلاح الدين على رفع الحصار عن حلب، وبالفعـل أنسحب صلاح الدين إلى حمص لحمايتها فسارع الصليبيون بمغادرها فى فبراير 1175م، وإعترافاً بالجميل من كمشتكين أطلق سراح الأسرى الصليبيين الموجودين فى سجون حلب، ومن ضمنهم جوسلين الثانى وأرناط بعد أن قضى ستة عشر عاماً يرسف فى قيود سجون حلب، ليقوم الملك بلدوين بتعيين أرناط قيماً على المملكة وقائداً عاماً لجيوشها، وتزوج أرناط من الأميرة "إيتنت دى ميلى" وريثة الأردن وحصنى الكرك والشوبك، الأمر الذى يعنى سيطرته على بارونية هامة من بارونيات بيت المقدس ويتيح لها موقعها الأستراتيجى السيطرة على الطريق بين مصر والشام،

ثم دخل سيف الدين غازى فى الصراع وأرسل جيشه تحت قيادة أخيه عـز الدين وأنضمت إليه قوات حلب وتقاتلا مع صلاح الدين عند قرون حماة فى إبريل 1175م، ولكن عز الدين أخطأ بأن جعل قلب جيشه ومركز القيادة فى مكان منخفض عن

---

12 أبدى صاحب مدينة بصرى صديق بن جاولى إمتعاضة من قلة القوات التى صاحبت صلاح الدين، وعندما أستفسر من القاضى الفاضل رئيس ديوان إنشاء صلاح الدين عن ما إذا كان لدى صلاح الدين أموال ليجند بها جنود أخبره القاضى الفاضل أن صلاح الدين ليس لديه إلا عشرة آلاف دينار فقط "فضرب صاحب بصرى رأسه وقال هلكتم وأهلكتمونا" مفرج الكروب ج2 ص19

13 الكامل ج9 ص404

أرض المعركة فبعد أن دارت المعركة لم يستطع فرسان الموصل وحلب رؤية رايات عز الدين فإعتقدوا فراره فأنهزموا من أمام صلاح الدين[14]، وصلاح الدين ينادى فى جنوده بعدم مطاردة أو قتل الجنود الزنكيين الفارين، وسرعان ما أطلق سراح الأسرى منهم، وكأنه يريد أن يدخرهم لما هو أهم، وبعد هذه المعركة قطع صلاح الدين الخطبة لعماد الدين إسماعيل بما يعنى إستقلاله بمصر والمدن المستولى عليها فى الشام وقيام الدولة الأيوبية رسمياً، وخصوصاً عقب إعتراف الخليفة العباسى المستضئ بالله (575-566هـ/1170-1179م) بسلطان صلاح الدين على مصر والشام وإرساله له الخلع ومرسوم بحكم مصر والشام

فبعد أن أفنى نور الدين محمود عمره فى تكوين جبهة تحرير القدس، إنقلب خلفاءه إلى أصدقاء للصليبيين بسبب خشيتهم من صلاح الدين، بل عرض الزنكيون بالموصل على الصليبيين جزية سنوية ضخمة وإطلاق جميع أسرى الصليبيين لديهم وتسليم بعض الحصون لهم مقابل طرد صلاح الدين من دمشق،

وأعقب ذلك معركة بين الموصل وحلب من جهة وصلاح الدين من جهة أخرى "بتل السلطان" فى 22أبريل 1176م عندما قاد صاحب الموصل سيف الدين غازى قواته، وأنتهت هذه المعركة أيضاً بإنتصار صلاح الدين مما أكد مولد الدولة الأيوبية،

وأثناء حصار صلاح الدين لمدينة أعزاز شمال حلب حاول الحشاشون إغتيال صلاح الدين مجدداً، السلطان يراقب عمل المنجنيقات من خيمة الأمير جاولى الأسدى، وبالفعل أستطاع ثلاثة من الحشاشين الوصول للدائرة الضيقة المحيطة بصلاح الدين متنكرين فى زى جنوده، وهاجمه أحدهم بسكين وضرب بها صلاح الدين فى رأسه فجاءت الطعنة فى عمامة صلاح الدين والتى كان معتاد على ان يضع بداخلها قطع معدنية للوقاية، فلم تؤثر فى رأسه الضربة إلا جرح غير مميت وأمسك صلاح الدين ـ كجندى متمرس لم تؤثر به المفاجأة ـ بهذا الفداوى وطرحة أرضاً وأمسك يديه وشل حركته، حتى قتله مملوك صلاح الدين الأمير سيف الدين بازكوج، فأندفع الثانى ليضرب صلاح الدين من ظهره فعاجله أحد أمراء صلاح الدين فقتله أمير صلاح الدين بعد أن جُرح، وقُبض على الثالث وقتل، فقام صلاح الدين وركب فرسه ورأسه تقطر دماً، بينما رابعهم يعدوا ومن خلفه الباعة بسوق الجيش ويقبضوا عليه

[14] الكامل ج10ص75

ويقتلوه[15]، ومنذ ذلك اليوم لم يركب صلاح الدين إلا وهو مرتدى درعاً أسفل ملابسه،

وقد قام الصليبيون بقيادة الملك بلدوين الرابع والوصى على العرش ريموند بمهاجمة إقليم البقاع ليتصد لهم شمس الدين تورنشاه أخو صلاح الدين ويوقع بهم الهزيمة، وعلى هذا أضطر صلاح الدين لمواجة ثلاث أعداء، الزنكيين والباطنية الحشاشين والصليبيين،

وخلال هذه الأحداث كان الملك بلدوين الرابع لا يُعتبر رجل الساعة بسبب مرضه الذى حال دون إضطلاعه بأعباء الحكم، وكما منعه من الزواج مما أثار مشكلة وراثة عرش المملكة، فلم يكن هناك حل إلا زواج الأميرة سيبيل شقيقته، فتم زواجها من أمير قادم من شمال أيطاليا يسمى وليم لونجورد دى مونتفرات وملقب بطويل السيف فى أكتوبر 1176م ليتوفى بحمى الملاريا بعد عدة أشهر من زفافه، ويترك زوجته يتحرك بين أحشاءها جنين سُمى بعد ولادته بلدوين الخامس،

وأهتم صلاح الدين بتأمين ظهره فى مصر ومتاثراً بالتحصينات العسكرية فى الشام اخذ فى تشيد قلعة الجبل لتكون خط دفاعى عن القاهرة، فقد أكتفى الفاطميون بحصن فى السهل (مدينة القاهرة بأسوارها) ولكن عيون الجندى المتمرس أختارت موقع أكثر حصانة عندما لمس ضعف أسوار القاهرة وموقعها غير الإستراتيجى، وكما اهتم بتحصين القاهرة والفسطاط بسور حجرى ضخم وكما أهتم بتأمين أسكندرية، وتقوية الأسطول المصرى ،

ثم خرج صلاح الدين لمهاجمة بيت المقدس أواخر نوفمبر 1177م، بعد أن أمر قواته بالإستعداد بأخذ مواد إعاشة ومؤن تكفى عشرة أيام[16]، وهاجم عسقلان التى أسرع لها الملك بلدوين الرابع عند ورود أخبار أستعدادات صلاح الدين ودخل بها فحاصره صلاح الدين بين أسوارها، وتحركت قوات صلاح الدين بمنتهى الحرية، وإغاروا على مدن وقرى الصليبيين حتى أبتعدوا وتفرق الجيش الأيوبى وأستطاع بلدوين التسلل من عسقلان وجمع قواته وأنضم أليه أرناط بقواته، وهاجما صلاح الدين فى تل الصافية أوائل ديسمبر1177م، وقواته ما تزال متفرقة، بينما كان يعبر نهر تل صافية قبل إتخاذ أوضاعها القتالية، فمنى صلاح الدين بهزيمة، وأستطاع بعض الفرسان الصليبيون الأقتراب من صلاح الدين ومهاجمته، حتى قُتل فارس صليبى بجواره،

---

[15] مفرج الكروب ج1 ص45

[16] مفرج الكروب ج 1 ص 58

وتوالت هجمات الفرسان الصليبيين على صلاح الدين، حتى تراجع يسير ببطئ حتى يتلاحق به جنوده، ورجع القاهرة فى صعوبة بالغة وكاتب أخيه العادل بقوله "ما أنجانا إلا الله لأمر فى علمه وأتمنى أن يكون فتح الساحل" ،

وحانت لحظة الثأر، فى موقعة مرج عيون بين صلاح الدين والصليبيين فى 10يونيو1179م، عندما زحف بلدوين بجيشه بعد أن أستنجد بريموند أمير طرابلس والذى حضر بجيشه، لإعتراض عز الدين فرخ شاه، الذى أرسله عمه صلاح الدين للأغارة على سهل البقاع لتدميره إقتصادياً، فتربص الصليبيون لقوات فرخ شاه وهى عائده بعد أغارتها الناجحة، غير مدركه إنها تحت نظر قوات صلاح الدين الإستطلاعية، ليحاول بلدوين الإنفراد بقوات فرخ شاه وذلك بإشغال صلاح الدين بقوات طرابلس والداوية، وتندفع الداوية مهاجمة قوات صلاح الدين المستعده، لتجهز قوات صلاح الدين على الداوية وقوات طرابلس وتحث الخطى لمهاجمة بلدوين، الذى تأخذه المفاجأة ولا يجد سبيل إلا الفرار تحت ضغط هجمات قوات صلاح الدين، بعد أن سقط الملك عن فرسه[17]، فحاول صاحب بانياس همفرى دى تورون حمايته فأصيب بسهم بخده خرج من أسفل ذقنه، فكانت فيه منيته، الأمر الذى يؤدى إلى سقوط أعداد غفيرة منهم بين قتيل وأسير فى سجون دمشق، ومن ضمن الأسرى أودو سانت أماند مقدم الداوية وبلدوين سيد الرملة[18]، تنتهى المعركة بإنتصار حاسم لصلاح الدين وفرار بلدوين بشق الأنفس ولكن صلاح الدين لم يحاول إستغلال النصر لتوقعه ورود حملات صليبية جديدة فى حالة تحرير المدن الصليبية، وكما أن ملك بيت المقدس مازال طليق بإمكانه تجيش قوات للمقاومة، فلهذا أهتم بتوحيد الشرق أولاً لتطهير الساحل ومقاومة ما قد يجئ من حملات صليبية .

وأمام كل هذه الأحداث وما صاحبها من تدهور صحة بلدوين مما أعاقه عن إضطلاعه بمهام منصبه، فكان يجب إيجاد زوج مناسب لشقيقة الملك الأرملة سيبيل، التى وجدت ضالتها فى فارس فرنسى يسمى جى دى لوزيجنان Guy of Lusignan الذى تزوجها فى 1180م، الذى كتب على يده سقوط بيت المقدس، وليدخل فى الأحداث شخصية اخرى ساعدت جى مساعدة فعالة فى تدمير بيت المقدس وهو أرناط الذى اطلق كمشتكين سراحه بعد قضائه ستة عشر عام أسيراً فى قلعة حلب فى عام 1177م، ليبحث لنفسه عن إقطاع ليحكمه ليجد ضالته فى أميرة أرملة عن زوجين ليكون أرناط الثالث لها، وليحكم قلعتى الكرك والشوبك بشرق الأردن اللتان ورثتهما

---

17 الروضتين ج3 ص24 - مفرج الكروب ج1 ص73

18 تاريخ وليم الصورى ج4 ص319

عن أبيها، ومن خلال تحكم أرناط بهذين الحصنين الذين يتحكمان بحكم موقعهما فى الطريق الواصل بين مصر والشام، حتى صلاح الدين عند رجوعه إلى مصر بعد سيطرته على دمشق "خرج أخيه العادل وتلقاه بأهل مصر من خلف سويس خوفاً من الفرنج"[19] لتكون هجمات أرناط هى الحبل الذى ألتف حول عنقه لتكون نهايته من أفعاله، بل تجاوز أرناط حدود العقل فى عام 1181م عندما حاول التوغل فى الجزيرة العربية حتى وصل لواحة تيماء الواقعة فى الطريق للمدينة المنورة ولم يرجعه إلا الهجوم الذى قام به فرخ شاه أبن أخ صلاح الدين على حصنى أرناط مما أجبره على العودة لإنقاذ إقطاعه، وهذه المحاولة من أرناط ما كان يمكن السكوت عنها وحتى بلدوين فزع منها، ولكنه كان لا يملك القوة التى تسمح له كبح جماح أرناط، الأمر الذى يبين مدى ضعف السلطة الملكية بمملكة بيت المقدس، أمام زيادة قوة ونفوذ بارونات المملكة ،

وفى عام 1182 م خرج صلاح الدين من مصر التى كانت أخر مرة يراها فيها، وأنتقل للشام ليدير المعركة النهائية ضد الصليبيين، لتحدث بعض المعارك المحلية بين صلاح الدين والصليبيين أنتصر فيها كلها صلاح الدين بمعاونه أبن أخيه فرخ شاه، ولكن صلاح الدين كان ينظر لحلب والشمال لإستكمال الجبهة الإسلامية الموحدة، لتساعد الأقدار صلاح الدين عندما حاصر حلب فطلب أميرها من صلاح الدين تعويضه عنها بمدينة سنجار الصغيرة فى شمال العراق ليضم صلاح الدين حلب لـدولته فى 12 يونيه 1183م ليكون ذلك أسوء حدث يمكن أن يصيب الفرنجة على حد قول المؤرخ الصليبيى المعاصر للأحداث وليم الصورى، فقد غدا صلاح الدين أقوى حاكم فى الشرق بدولة تمدد من أقصى جنوب مصر حتى شمال الشام، وإكتملت الجبهة التى عليها مجابهة أوروبا، وتلاحمت مصر والشام فى دولة موحدة لا بشكل إسمى كما كانت فى أيام نور الدين، ولكن فى شكل فعلى على يد صلاح الدين، وذلك لأول من منذ عدة قرون،

وقد كان النشاط العسكرى المتزايد لصلاح الدين ونجاحه فى إخضاع شمال العراق وداخلية الشام إلى دولته، الأمر الذى ينذر بعواقب وخيمة للصليبيين، ثم المرض الذى ينهش بشراسة فى جسد بلدوين الرابع كل هذا دفع بارونات المملكة إلى البحث عن طريقة لمواجهة الخطر الإسلامى المتفاقم صوبهم، ليسرع هؤلاء البارونات لعقد إجتماع مجلس البارونات الأعلى (المحكة العليا)، والملك وبارونات يخيم على وجوههم يأس شديد وقنوط، وبعد عدة إجتماعات كئيبة، ومشاورات مذعورة قرر

[19] كنز الدرر وجامع الغرر ج7 ص43

الجميع إجراء إحصاء عام لجميع سكان المملكة، لتحديد القدرات العسكرية وعدد الفرسان والرجالة بشكل دقيق، كما قفزت الحالة الإقتصادية المتردية للمملكة، وخزينتها التى تشتكى من الخواء، بعد تقلص الأراضى المسيطر عليه بسبب مجهودات نور الدين وصلاح الدين، وإختفاء أموال الأتاوات التى طالما ملئت بطون خزائن بيت المقدس من الفاطميين والدماشقة وجميع المتخاذلين، ليتم الموافقة على فرض ضرائب باهظة على الجميع، نبلاء علمانيين ورجال الكهنوت، وذلك بجباية 1% من ممتلكات جميع سكان مملكة بيت المقدس سواء رجال أو نساء، نبلاء أو أديرة، فتم جمع بيزانت من كل مائة بيزانت فى حوزة الجميع، حتى من لم تصل ممتلكاته النقدية إلى بيزنت تم فرض بيزنت على كل مسكن به موقد نار لإعداد الطعام، وعلى كل كنيسة دفع أثنين من البيزنتات عن كل مائة بيزنت من ريع أراضيها، وعلى كل عامل وموظف بالمملكة دفع بيزنت عن كل مائة بيزنت من أجره، وعلى كل حائز إقطاعية دفع بيزانت واحد عن كل موقد نار لإعداد الطعام ببيوت فلاحى إقطاعيته،

وتجمع هذه الضرائب من المنطقة المحصورة بين حيفا إلى القدس فى إكياس مختومة لكل مدينة ومقاطعة على حدا، وتوضع بخزينة كنيسة الصليب المقدس تحت إشراف لجنة من بطريرك القدس ورئيس كهنة القبر المقدس ورئيس قلعة بيت المقدس (برج داوود)،

أما المنطقة الواقعة من حيفا إلى بيروت شمالاً فيتم تجميع الأموال منها ووضعها بقلعة عكا تحت إشراف لجنة من رئيس أساقفة صور والفارس جوزكاين وكيل الملك ورئيس قلعة عكا، مع التشديد على أن هذه الأموال ليست مخصص الإنفاق منها على أى شأن من الشئون المعيشية للمملكة، وأنما تكون قاصرة للأنفاق منها على الدفاع عن المملكة فقط[20]،

بينما سقط الصليبيون فى بحر البحث عن من يعتلى العرش فما حل عام 1183م حتى سقط بلدوين طريح الفراش فقد نهشه مرض الجذام حتى النخاع لدرجة عجزه عن الحركة وفقده لبصره تماماً، ومع هذا رفض بلدوين التنازل عن العرش بل تمسك به وأقصى ما سمح به هو إختيار وصى على العرش، فكان يجب إختيار زوج مناسب لشقيقة الملك الأميرة سيبيل، ولكن للأسف منصب الوصى لملك مريض يخلفه ملك طفل وهو بلدوين أبن سيبيل منصب غير براق ولا يحمل أغراءات، وخصوصاً فى

[20] تاريخ وليم الصورى ج4 486 -489

إكتمال الجبهة

ظل تنامى قوة المسلمين بقيادة صلاح الدين، الذى أوشك أن يطيح بالمملكة بالضربة القاضية، وهى حقيقة لم تكن خافية على وليم أسقف صور والذى تباكى على مملكة بيت المقدس قبل سقوطها فى كتابه الشهير، حتى طال إنتظار الأرملة وأخيها لهنرى دوق برجنديا بعد قسمه بالوصول للمملكة وزواجه من سيبيل، ولكنه لم يحمل نية الوفاء بقسمه ،

هبط المملكة الأبن الثانى لكونت لوزنيان ويسمى آمالريك وتم تعيينه كونستابل للمملكة، وحاول هذا الطموح ذو الأصل النبيل المتواضع أن يرفع من شأنه، فعرض على سيبيل أن تتزوج بشقيقه الأصغر جى، والمبعد من الغرب بسبب قتله إيرل سالسبورى قائد حراسة ملكة إنجلترا، مبيناً لها ما يتمتع به من وسامة ليمس شغاف الأرمله الطروب التى ترجوه أن يحضر أخيه للمملكة، وما أن تتأكد من وسامته حتى توافق عليه زوجاً لها، بعد أن أثبت جى أنه عاشقاً جيداً أكثر منه محارباً قوياً، وهو ما يرفضه الملك أن يلقى مقاليد المملكة فى يد صبى صغير جاهل، أدنى مقاماً من عائلته، وكذلك يستنكف بارونات المملكة أن يكون سيدهم الأعلى صبى أبن كونت فرنسى تافة معدم متواضع النسب، جى لوزينان الذى وصفه المؤرخ وليم الصورى بالبلادة وضعف الشخصية ونفى عنه أى صفة من صفات الفرسان وأنه ما هو فى العير ولا النفير[21] وبأنه أنسان حقير تافة[22]،

يتم الزواج فى 1180م لخوف الملك المريض من قيام ريموند كونت طرابلس بخلعه عن العرش، ويتم منح جى المحظوظ كونتية يافا وعسقلان[23] تحت ضغط إلحاح أخته وأمه أجنس دى كورتناى وهرقل[24] بطرك بيت المقدس، ليحاصر جى بسيول من الحظ، بين ملك مدنف على وشك الموت، ووريث طفل ذو صحة معتله، وفى هذا العام هاجم صلاح الدين المملكة للقضاء عليها ولكن الصليبيون تمسكوا بأستراتيجيتهم المناديه بتجنب الأشتباك المفتوح مع المسلمين قدر الأمكان، وأحتموا بقلاعهم مما أجبر صلاح الدين على الأنسحاب وإنتظار فرصة أخرى .

وتحت ضغط من سيبيل وأمها وافق الملك بلدوين على نقل الوصاية على المملكة إلى زوج شقيقته جى ما عدا مدينة القدس التى ستظل تحت حكم بلدوين لإستغلاله دخلها

---

21 الحروب الصليبية ج4 ص 254

22 الحروب الصليبية ج4 ص325

23 تاريخ وليم الصورى ج2 ص116

24 أتخذت الملكة أجنس أرملة الملك آمورى وأم الملك بلدوين الرابع البطريرك هرقل عشيقاً لها، الأمر الذى أتاح له الوصول لكرسى البطريركية،

الضخم، بعد أن أقسم جى ـ بناء على شرط بلدوين ـ ألا يتطلع لعرش المملكة ما دام بلدوين حياً[25]، وأضطر بارونات المملكة الموافقة على مضض ،

جى لوزجنان والإنهيار الصليبى

ولم يكن جى هو المشكلة الوحيدة التى جلبت الدمار للصليبيين، فقد أتحد معه أرناط الذى حاول تكرار محاولته الغبية بالتوغل فى الجزيرة العربية وتهديد المقدسات الإسلامية، مستغلاً وجود صلاح الدين بالموصل وشمال العراق أثناء إستكماله تشيد الجبهة الموحدة، ووفاة نائب الشام عز الدين فرخشاه أبن أخ صلاح الدين والذى طالما أذاق أرناط الأمرين، أراد أرناط إجراء تغيير فى الإستراتيجية الصليبية بنقل الصراع إلى ساحل البحر الأحمر، ففى 1183م سار أرناط بقواته حتى رأس خليج العقبة وهاجم أيلة وحاصرها وقام بتجميع سفن نقلها مفككه على ظهور جمال مستأجرة من بعض من باعوا دينهم وأوطانهم من أهالى المنطقة، وأنزلها فى البحر الأحمر، وهاجم جزيرة فرعون وحاصرها بسفينتين، وأرسل باقى أسطوله ليتوغل فى البحر الأحمر حتى وصلوا لميناء عيذاب فى أقصى جنوب مصر، وأخذوا عدة من مراكب الكارم وهى مكدسه بهار وبضائع، وقتلوا من أهل عيذاب جماعة كثيرة، فإنهم لم يتحققوا أنهم فرنج[26] فهى المرة الأولى والأخيرة التى يتوغل الفرنج حتى هذه المنطقة، وهاجموا طريق قوص ـ عيذاب، وقتلوا البعض، وأحرقوا عدد من سفن الحجاج وهاجموا بعض القوافل التى سارت أمنه بدون حراسة، ثم عبروا البحر الأحمر وهاجموا ميناء ينبع الذى يعتبر ميناء المدينة المنورة ثم هاجموا ميناء الرغيب، وهبطت قوات برية صليبية، وكانوا عازمين على دخول مكة والمدينة[27] وقام بعض خونة البدو بإرشاد قوات أرناط لطريق المدينة المنورة، ولكنهم لم يدروا أن الجيش المصرى يتعقبهم ،

فما أن علم العادل شقيق صلاح الدين ونائبه بمصر بالهجوم الصليبى فى البحر الأحمر حتى أرسل قائد الأسطول المصرى الأمير حسام الدين لؤلؤ الذى تعقب الصليبيين وأفنى قواتهم المتخلفه تحاصر قلعة أيلة، قبل أن يفاجئ الأسطول الصليبي الراسى فى ساحل حوراء ويشبعه قتلاً وأسراً، ويترجل هو ورجاله ويأخذوا خيول من البدو ويطاردوا الصليبيين ليلحق بهم وهم على مسافة يوم من المدينة المنورة[28]، لتتكفل السيوف المصرية بتطهير وحماية حرم الرسول منهم، ويستحر القتل بفرسان

---

[25] الحروب الصليبية ج4 ص318

[26] كنز الدرر وجامع الغرر ج7 ص71 ، وتجار الكارم هم تجار البهار القادم من الهند

[27] الكامل ج10 ص118

[28] السلوك ج1 ص79 ـ مفرج الكروب ج2 ص130

الفرنج ويتم أسر الباقى[29] ويساق الأسرى ليتم نحر أثنين منهم فى مِنَى خلال موسم الحج بينما تتهادى الجمال بالقاهرة وباقى المدن المصرية وعليها باقى الأسرى ليتم أعدامهم، وأقسم صلاح الدين أن يقتل أرناط بيده ان ظفر به[30]، وعلى هذا نجح أرناط فى جمع الأمراء المسلمين حول صلاح الدين وتصميمهم على مساعدته ضد من حاولوا العبث بالمقدسات الأسلامية وهو ما لا يمكن السكوت ع ، ويطلق صلاح الدين ما فى جعبته من قوة، وكما زرع أناط عداء شخصى مع صلاح الدين لا يُمحى ولا يُغفر .

وإستعداداً للمعركة الفاصلة أتخذ صلاح الدين إجراءات دبلوماسية فى منتهى الحنكة والذكاء، بمحاولته إضعاف فرنج الشرق بقطع أذرعهم الممتدة بينهم وبين أوروبا، وذلك بعقد معاهدات تجارية مع الجمهوريات البحرية الأيطالية جنوة والبندقية وبيزا، فقد تم عقد معاهدة مع جمهورية بيزا، الأمر الذى حدا بهذه القوى البحرية ـ التى كان فرنج الشرق يعتمدون على بحريتها لمد شرايين الحياة مع أوروبا ـ إلى إحجامها عن الإضرار بمصالحها التجارية مع مصر، علاوة على ما لهذه المعاهدات من آثار إيجابية على النشاط الإقتصادى المصرى، حتى أصبح "ما منهم إلا من هو يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وبلاده"[31]، علاوة على تقوية العلاقات مع الدولة البيزنطية، وخصوصاً بعد فتور العلاقات بينهم بين الصليبيين عقب وفاة الأمبراطور مانويل كومنين ،

كما نجح صلاح الدين فى حصار الكيانات الصليبية بالشام، فقواته بحلب ودمشق كانت من القوة ما يتيح لها القيام بغارات ناجحة، وجعل أى مغامرة صليبية مغامرة غير مأمونة، الأمر الذى أدى إلى تقوقع الصليبيين داخل مدنهم إنتظار اللحظة التى يختارها صلاح الدين لبدء موجة التحرير، فصلاح الدين أستولى على المبادءة، وترك رد الفعل للصليبيين،

وبنفس سرعة تدهور صحة الملك بلدوين الموشك على الموت نجح جى فى إكتساب عداء وأحتقار بارونات المملكة، الذين نجحوا فى أقناع بلدوين فى خلع جى من الوصاية على العرش وإعادة الوصاية إلى ريموند أمير طرابلس ومنح ريموند مدينة بيروت كأقطاع له مقابل الوصاية على العرش، وحاول بلدوين أن يفسخ زواج أخته

---

29 الروضتين ج2 ص37 - رحلة أبن جبير ص54

30 الروضتين ج2 ص75

31 الروضتين ج1 ص243 ، ولهذا لن نجد أى دور يذكر لأساطيل الجمهوريات الإيطالية منذ هذا الوقت وحتى بعد حطين لن تصافح سفينة إيطالية الساحل الشامى بعكا خلال الحملة الثالثة

بالكونت الوسيم، الذى هرب من أمام بلدوين وسارع لزوجته يرجوها أن تفر بصحبته لعسقلان حتى لا يمنعها أخيها الملك من الذهاب معه، وتزداد ثورة جى ويهاجم البدو الرعاة الذين يرعون قطعانهم بجوار قلعة غزة بعد دفع أتاوة للملك بلدوين نظير أمانه، ويرفض المثول أمام المحكمة العليا التى أستدعته بناء على طلب الملك، ليحث بلدوين الخطى لعسقلان محمولاً على الأعناق ليجد أبوابها موصده فى وجهه، بينما هو يطرق باب المدينة كان أهلها محلقين فوق السور ينظرون له سكوتاً، ولا يملك الملك قوة أو نفوذ أمام أحدى مدنه وأحد أفصاله الإقطاعيين، ليذهب الملك الغاضب ليافا وينصب عليها أحد أتباعه،

وتنصب المحكمة العليا فى عكا ويتم تلاوة حيثيات إدانة جى، لتجد قضيته السيئة من يدافع عنه من القادمين من الغرب، فى شخصيات بطرق القدس ومقدمى الداوية والإسبتارية،

ومن أجل سد الطريق للعرش فى وجه جى تم تنصيب ابن زوجته سيبيل من زوجها الأول وليم دى منتفرات والمسمى بلدوين ملكاً تحت اسم بلدوين الخامس، وهو أبن خمسة أعوام وذو صحة معتله مثل خاله الملك، لينقسم الصليبيون بين مؤيد للملك بلدوين الرابع، وبين رافض لإعتلاء طفل للعرش ولا يجدوا جدوى من إعتلاء بلدوين الخامس العرش وخصوصاً فى هذه الوقت الذى تنامت فيه قوة دولة صلاح الدين، وبين مؤيد لجى وخصوصاً من الوافدين الجدد والداوية، وبين مؤيد لريموند وخصوصاً من الصليبيين البلديين، حتى أصبح على عرش المملكة ملكان عاجزان، أحدهما طريح الفراش والأخر طفلاً غض[32]

ويصدر الملك المحتضر قانوناً بإنه فى حالة وفاة بلدوين الخامس قبل العاشرة من عمره يحتفظ ريموند بالوصاية عشرة سنوات، ويستشار البابا بروما وملوك فرنسا وأنجلترا وألمانيا فى مصير المملكة،

وأول ما سعى إليه ريموند الوصى الجديد هو عقد هدنة مع صلاح الدين، كان صلاح الدين فى حاجة إليها لترتيب البيت الأيوبى من الداخل قبل المعركة المنتظرة، فريموند ينتمى للصليبيين البلديين المولودين بالشام، وقد قضى فترة ليست بالقصيرة فى أسر نور الدين، الصليبيون البلديون لا يرون غضاضة فى إيجاد نوع من التفاهم مع جيرانهم المسلمين، بعكس الصليبيين الوافدين ،

32 تاريخ بيت المقدس ج4 ص331

الصليبيون البلديون والذين يطلق عليهم بولان (أفراخ)، وكان يطلق هذا اللفظ على نتاج تزاوج الفرنج بالمسيحيات الشرقيات، فالصليبيون عندما أحتلوا الساحل الشامى العديد منهم ترك أسرهم بالغرب، كما كان الكثيرون منهم من صغار السن، بينما من أصطحب الجيش من النساء كن من أدنى الطبقات وأصحاب أحقر الأعمال، فلهذا لجأ العديد من اللاتين للتزاوج من الشرقيات، مما أنتج جيل تربى تربية شرقية مما أثر على شخصيته، جيل ليس له صلة بأوروبا إلا ما يسمعه عنها فقط، وقد سيطر الأفراخ على الإقطاعات ببيت المقدس، وضموا لذلك سيطرتهم على المناصب العليا فى إدارة المملكة، مستغلين ضعف خلفاء أمورى، مكونين طبقة أرستقراطية من عدد محدود من العائلات قليلة النسل، وأدى حرص نبلاء الشرق اللاتينى على تقوية سيطرتهم على مقاليد الشرق إلى التزاوج فيما بينهم، مما أدى إلى نتيجتين، أولهما قلة النسل الناتج عن هذه الزيجات البينية، وثانيهما هو النظرة التى نظروا بها للقادمين من الغرب، نظرة لمنافسين طفيليين، وليست نظرة لأخوة فى الدين والجنس، مما أنسحب إلى الصليبيين الجدد القادمين من الغرب، الذين نظروا لطبقة البولان نظرة ملؤها الحقد والحسد بسبب ثراءهم والترف الذى يرفلون فيه، والحياة اللينة التى يحيونها بمدنهم الكبرى التى توفر لهم أقصى رفاهية عصرهم، كل هذا أدى إلى إشعال العداوة بين جى وباروناته الأفراخ، الذين طمحوا فى منصب ملك بيت المقدس وعملوا على تزويج سيبيل لأحد الأفراخ من بيت أبلين، وهو ما رفضته الأرملة المتيمه بجى الوسيم، الذى أستعان بمن وجده بالمملكة من الصليبيين المولدين بالغرب كأرناط وجيرارد، مما زرع الشقاق داخل المجتمع الصليبى ،

لتزداد ثقة جى بنفسه ويستغل ضعف ومرض الملك وثروة سيبيل، ويستقطب العديد من الفرسان الباحثين عمن يشترى سيوفهم، فيهاجم بهم قلعة الداروم المملوكه ملكية خاصة لبلدوين، ويهاجم من حولها من البدو الرعاة الذين أشتروا حق الرعى من بلدوين بجانب قلعته، ليفتك بهم جى، أمام عجز ملك بيت المقدس،

ولم يقتصر الشقاق على بيت المقدس فقط، بل طال أنطاكيا، التى أدى سلوك أميرها بوهيمند المنحل بإتخاذه عشيقة له وطرده زوجته إلى فرض الحرمان الكنسى واللعنة عليه من قِبْل الكنيسة، وإعتبار أن الإنتكاسات التى تطرى على رؤوس الصليبيين إنما هى بسبب إنحلاله، إن كان الإنحلال والعلاقات غير الشرعية هى سمة الوجود اللاتينى بالشرق، فمن الملاحظ هو إنتشار العلاقات الأثمة والإنحلال الجنسى بل والشذوذ الجنسى بين لاتين المشرق،

وقد قابل بوهيمند قرار الحرمان بتحدى بل تعدى الأمر بقيام الأمير بطرد كبار نبلاءه وفرسانه بل وقائد قواته من الأمارة، ليجدوا ملاذاً لهم فى مملكة أرمينيا الصغرى بعيداً عن الشام ،

وتعدى الأمر إلى تصادم الملك المريض المتمسك بالعرش مع ريموند كونت طرابلس، بعد أن بيّن ريموند عن مطامع فى عرش بيت المقدس بعد إشراف بلدوين على الموت وصغر سن أبن أخته وسميه، وضعف وحقارة جى زوج سيبيل، مما زاد من الهواجس فى صدر الملك، هواجس زادتها نميمة باروناته الطامعين فى زيادة مساحة حرياتهم وإضعاف سيطرة التاج على إقطاعياتهم، لهذا فهم أبعد ما يكونوا عن الترحيب بصعود وصى قوى على العرش كريموند، وزادت الخلافات بين بلدوين الرابع وريموند لدرجة منع ملك بيت المقدس لريموند من المرور بأراضى المملكة لزيارة إقطاع زوجته بطبرية وأقليم الجليل، الأمر الذى سيزيد حنق الكونت، ويفتح له الطريق لأحضان صلاح الدين ،

وقد نجح صلاح الدين خلال الهدنة فى فرض سيطرته على ديار بكر والموصل والتى سوف تمد جيوش صلاح الدين بثمانية الاف فارس كل عام، فقد كان شرط صلاح الدين لحكام مدن وقلاع الجزيرة "أن يكونوا مساعديه فى جهاد الفرنج"،

وينجح صلاح الدين فى حصار الكيانات الصليبية بالشام بتكوينه ممالك إقطاعية بمدن الشام الكبرى،على رأس كلاً منها أمير من بيته، وخصص كلاً منها لحصار كيان صليبى، فحمص وحماة لطرابلس، وحلب لأنطاكيا، ودمشق لبيت المقدس، ومصر من خلف الجميع

وبينما صلاح الدين يستعد للجولة النهائية توفى الملك الطفل بلدوين الخامس(1186م) ومن قبله خاله الملك بلدوين الرابع (1185م) مما ترك فراغ حاول الجميع إنتهاز الفرصة لملئ هذا الفراغ، وقد طمح ريموند فى منصب الملك فهو أجدر الأمراء الصليبيين والوصى على الملك المتوفى وكان ينعم بعطف وتأييد بلدوين الرابع حتى حين، وأتحد معه القهرمان جوسلين أوف كورتناى الذى أقترح علي ريموند ان يجتمعا فى طبرية لبحث السُبل اللازمة لوصوله للعرش، وبالفعل اتجه ريموند لطبرية لأنتظار صديقه جوسلين الذى سارع الخطى بأتجاة عكا لتنصيب سيبيل وجى كملكا لبيت المقدس 1186م، بعد أن قام جوسلين بإرسال قوات لإحتلال صور وبيروت مدن صديقه ريموند، وبهذا أنقسم الصليبيون بين مؤيد لـريموند من الفرنج المولدين بالشرق فى الأغلب والإسبتارية، ومناصر لجى وسيبيل من القادمين من الغرب

والداوية، ورجحت الداوية كفة جى عندما وقف جيرارد مقدم الداوية وقال فى فظاظة أنه سيتم تتويج سيبيل رغم أنف جميع رجال البلد[33]، مما أقنع من ألتفوا حول ريموند بأنه الجواد الخاسر وتسربوا فى إتجاة عكا لتقديم فروض الولاء للملك الجديد جى، بعد أن أعلنت زوجته بإنها أعطته عن طيب خاطر أن يملك جسدها، وقالت وهى تضع التاج على مفرقه "أُعلن أنا سيبيل أننى أخترت لنفسى جى دى لوزنيان زوجاً وملكاً، لأننى أعرف أنه رجل عظيم وذو خلق قويم، وسوف يحكم شعبه حكماً صالحاً ولن أرضى به بديلا" ولكن العداء استشرى بين ريموند من جهة والملك جى والداوية وأرناط وهرقل بطريرك بيت المقدس من جهةً أخرى، عداء كان من أسباب هزيمة حطين

وكما شكل ندرة القيادات ذات الكفاءة للصليبيين مشكلة خطيرة، حتى أصبح الزعماء الصليبيون الأن مجرد أقزام، ويسقط البارونات الصليبيون فى دوامات البحث عن الألقاب والإقطاعات، والإستغراق فى المهاترات الدبلوماسية والبحث عن المزيد من الثروات ،

وكانت القوى بين المسلمين والصليبيين متقاربه نظرياً طوال مراحل الصراع، ولم يميل التوازن العسكرى لطرف بشكل حاد، بل كان الميل يتأرجح ببطئ، وما شكل فارق فى القوة بين الطرفين لم يكن العدد البشرى والتسليح بقدر ما كان الإتحاد والتعاون والتنظيم بين عناصر الطرف الواحد ،

[33] ذيل وليم الصورى ص43